

# إضاءة على كتاب الأب سليم دكاش اليسوعي (الرسالة التربوية للجامعتين الأميركية واليسوعية)

■ ندى عيد

«الجامعة الأميركية والجامعة اليسوعية في بيروت، العمق التاريخي لرسالتيهما التربوية وأفاق المستقبل» عنوان كتاب الأب البروفسور سليم دكاش اليسوعي الصادر حديثاً عن دار نلسن في طبعة أنيقة تحمل على غلافها صورة للجامعتين بالأبيض والأسود والأبيض من القرن الماضي.

الكتاب الصادر باللغات الثلاث العربية والفرنسية والإنكليزية، هو نص المحاضرة التذكارية التي ألقاها البروفسور دكاش ضمن برنامج أنيس المقدسي للآداب في قاعة محاضرات كوليدج هول B1، في الجامعة الأميركية في بيروت، في ٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠١٧. جدير بالذكر أن دكاش هو رئيس جامعة القديس يوسف في بيروت منذ العام ٢٠١٢، وله مؤلفات عدة في اللاهوت والفلسفة والتربية، إضافة إلى موضوعات مختلفة، وآخرها كتاب «خواطر على الطريق» الصادر عن دار المشرق في آذار الماضي، وقد ضمته لمعاً من تجربته الإيمانية، والتربوية، والوطنية، والوجدانية، والوجودية. يكتسي الكتاب الجديد أهمية خاصة إذ يكشف عن تاريخ علاقة استعادت رونقها خصوصاً مع التقارب الحاصل بين الجامعتين حالياً والذي يترجم بنشاطات ومؤتمرات علمية مشتركة، والمحاضرة- الكتاب تأتي في هذا السياق، وأشار دكاش إلى ذلك بقوله: «لاحظ العديد من الباحثين، نوعاً من المحاكاة - أنا أستخدم هذا المصطلح بدلاً من «التنافس» أو «المنافسة» الذي لا يتوافق مع وجهة نظري، كما يبينه حضور اليوم بينكم - توجد محاكاة بين مؤسستينا، ويسعدني ذلك لأنها تعود بالنفع على المجتمع المحلي وتساهم في بقاء لبنان وتأثيره الإقليمي والدولي، اليوم كما في القرن التاسع عشر عندما تم إنشاء المؤسستين».

## زمن التأسيس

يعود المؤلف إلى البدايات، إلى زمن التأسيس ويخوض باحثاً في ثنايا صفحات التاريخ الخاصة بكل جامعة، ويختار منها مواقف وعبراً تنم عن أخلاقيات رجال ذلك الزمن وهو «موضوع قلما تم التطرق إليه في السابق وله أبعاده ودلالاته وأصبح عمره أكثر من مئة سنة ولا بد من استنكاره وأخذ العبرة منه

لأنه كان حدثاً بدل العلاقة بين الكنيسة الإنجيلية والجامعة اليسوعية» بحسب دكاش، ويسرد الواقعة كالتالي: «في السنة ١٩١٤ أعلقت السلطات العثمانية جامعة القديس يوسف وحوّلتها إلى ثكنة عسكرية حتى إن الكنيسة المعروفة تحت اسم القديس يوسف في بيروت تحوّلت إلى مركز إداري إذ هجر الأباء اليسوعيون خصوصاً الفرنسيين منهم نظراً إلى ارتباط الجامعة بالدولة



الأب البروفسور سليم دكاش اليسوعي

الفرنسية، من ديرهم في بيروت وهو دير الجامعة في شارع الجامعة ولم يعد لهم بيت يلجأون إليه. بعض المشرقيين من الأباء بقوا قابعين في أبنية تابعة للجامعة مثل الأب صالحاني والأب لويس شيخو مؤسس المكتبة الشرقية الذي استطاع أن يفرّض نفسه حارساً عليها وعلى مكتبة المخطوطات الثمينة فيها. فألى أين رحل الأباء الفرنسيون اليسوعيون ومن استضافهم سوى المرسلين المسيحيين في الجامعة الأميركية؟ يقول فريديريك بلس في رسالة كتبها في ٣٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٤: «هل تتصورون أن بيت الدكتور بوست في الجامعة الأميركية قد تحوّل إلى ملجأ للأباء اليسوعيين وللأخوة الفرنسيين حيث أكلوا وشربوا في قاعة طعام الويست هول؟ ذلك ما حدث بالتمام. أما جامعة القديس يوسف الجليلة مع مكتبتها العظيمة ذات المئة ألف كتاب فهي اليوم غنيمة الحرب بين أيدي الأتراك. ولقد توّرع الأباء في الحرّم، وجلّهم يسكن في مختلف أبنية الجامعة، وهم ممتنون لتلك الضيافة». ويشير إلى تقصده إغفال المسائل الخلافية فيقول: «صفحات كثيرة تتحدث عن نظرية القدوة المتبادلة بين الفريقين نعرفها جيداً إلا أننا نتركها للتاريخ فنجتمع اليوم عمّا يوحد ويدخل في الحوار البناء لا عن الفرقة والتباعد».

## عناوين مهمة

وفي الكتاب عناوين مهمة فإلى المدخل والمقدمة، ونع المؤلف محاضراته على خمسة أقسام هي محاور قارب من خلالها موضوعه، وهي: القسم الأول: علامات مضيئة من زمن التأسيس:

أ- الجامعة الأميركية في بيروت؛ ب- جامعة القديس يوسف في بيروت. في هذا القسم الأول ذكر المؤلف أن الجامعة الأميركية بدأت دروسها باللغة العربية في فترة التأسيس قبل أن تتباعد عنها، مستنداً إلى ما جاء عند المؤرخ الدكتور فيليب حتى، فكتب دكاش «إن الجامعة تجلّى حرصها في الحفاظ على التراث القومي في جعلها اللغة العربية لغة التدريس في بادئ أمرها (...) وذلك كتبه دانيال بلس في الشريعة الأساسية



غلاف الكتاب

للجامعة عند نشأتها. لكنّها، يقول حتى مستنداً إلى كلام بلس نفسه، اضطرت للتخلي عن هذا التقليد الجميل على حدّ قول بلس نفسه، لأسباب عديدة منها تنوع الجنسيات التي كانت تتمثل على أرض الجامعة، ومنها صعوبة إيجاد المعلمين من ذوي الخبرة الكافية في اللغة العربية، وصعوبة إيجاد الكتب المدرسية وتخلف العربية ذاتها عن اللحاق بركب العلوم والفلسفة».

القسم الثاني: شخصيتان نموذجيتان من الجامعتين: أ- الدكتور كورنيليوس فان دايك؛ ب- لويس شيخو، «سلطان اللغة العربية»؛ ج- تعزيز دور اللغة العربية. القسم الثالث: أ- إحترام وتضامن من حيث المبدأ في المحنة؛ ب- متحدون في حرب لبنان والمحنة (في مواجهة اغتيال مالكولم كير Malkolm Kerr)؛ القسم الرابع: بين التقليد والحدثة: بين القومية الخاصة والقومية العربية؛ والقسم الخامس والأخير خصصه دكاش للوقوف على التحديات وقد اختصرها بست نقاط، ثم خاتمة.

## بناء مستقبل مشرق

لا مجال لاستعراض كل ما جاء في الكتاب من استنكار للتاريخ ودروسه وربطه بالحاضر ليكون دعامة في بناء مستقبل مشرق للعلاقة بين المؤسستين فقال: إن «العرض الإجمالي الذي أقتصره لا يصوب بأي حال من الأحوال إلى الشمولية، لأنه يكاد يكون من المستحيل عرض مساهمات كل من الجامعتين، وهي مساهمات غنية جداً في مختلف المجالات منذ إنشائهما. المقصود من هذا التوليف أو العرض الإجمالي أن يكون تفكيراً من أجل فتح النقاش حول ماضينا، بل وأكثر، حول مستقبلنا». إن العمق التاريخي لرسالتي الجامعتين الأميركية (تأسست في العام ١٨٦٦) واليسوعية (في العام ١٨٧٥)، معالمة واضحة في المجتمع اللبناني من خلال التزام الجامعتين خلال قرن ونصف من الزمن بتقدّم هذا المجتمع وتطوره وإعداد النخب والكوادر المؤهلة لقيادته وبنائه وقد وصل إشعاع كل من المؤسستين إلى الدول المجاورة من خلال آلاف الطلاب المحليين في مختلف الميادين. يبقى أن الكتاب رحلة ممتعة بين استنكار للتاريخ وعرض لواقع ينطوي على صعوبات حقيقية من المؤكد أن الجامعتين ستخطيانها كما فعلنا خلال تاريخهما المشرق، وقد عرفنا الحروب والتجوير والإفضال والإغتيال ودفعنا أثماناً غالية للحفاظ على الحرية الفكرية والمستوى الأكاديمي العالي، جاعلة من الفكر النقدي الإيجابي البناء العامل الأساس في التربية بعيداً عن الأدلجة والتعليب.

وفي الختام نستعير من الكتاب طرفة رواها المؤلف عن زمن التأسيس فكتب: «تذكر أيضاً النكتة الشهيرة التي قالها كورنيليوس فان ديك Cornelius Van Dyck الذي أعلن، وهو في طريقه نحو صيدا، أنه يتّجه إليها من أجل «إنشاء أربع مدارس». وأشار إلى محاوريه المستعربين أنه سيُنشئ مدرستين، واحدة للبنين وواحدة للبنات وأنه على يقين من أن الفرنسيين سوف يفعلون الشيء نفسه على الفور ويفتحون في صيدا مدرسة للبنين وأخرى للبنات. وهكذا، (يختم) قائلاً: «ساكون مسؤولاً عن إنشاء ٤ مدارس» ( ). ولكن الطبيب البارز والمستعرب كان مخطئاً، عن علم أم من دون علم: كان اليسوعيون قد سبقوهم. فالمدرسة اليسوعية في صيدا افتتحت في العام ١٨٥٥ ومنذ العام ١٨٦٢، مع مقر إقامة هو بمثابة مركز إشعاع مؤثر في جبل عامل».

♦ البروفسور سليم دكاش، «الجامعة الأميركية والجامعة اليسوعية في بيروت العمق التاريخي لرسالتيهما التربوية وأفاق المستقبل»، صادر في ثلاث لغات عن دار نلسن، الطبعة الأولى ٢٠١٨، بيروت، لبنان.